

اخلع ثوبك !

قال أبو إسرائيل :
لا زلت أذكر موقف أبي عبد الرحمن العراقي وهيئة جلسته وهو يشدّ خيط حذائه وقد التفت إلى بعض إخوانه مبتسماً ابتسامة الواثق وهو يقول : أنا ألبس حذائي وأشدّه ، وأنتم سوف تخلعونه إن شاء الله وكان ذلك في جلال أباد وأحسب أنه صدق الله فصّدقَه الله ووفى لله فوقاه الله وأواه - أحسبه كذلك - انتهى .

فهل تذكرت كم مرة في اليوم خلعت ثيابك لتستبدلها بغيرها ؟
وهل تذكرت ذلك أنت أيضاً ؟
كم مرة لبسنا أحذيتنا ثم خلعناها ؟
وكم مرة نلبسها ونخلعها في اليوم والليلة ؟

ولكن هل دار في خواطرننا أو خطر ببال أحدٍ مِنّا أنه ربما لبس هذا الثوب فلم يخلعه بل خُلع عنه ؟
أو أنه لبس هذا الحذاء فكانت هذه هي اللبسة الأخيرة ؟

وهل تذكرنا جميعاً فضل الله علينا ونعمته التي أنعم بها علينا قديماً وحديثاً صغاراً وكباراً يوم مكّنا من لبس ثيابنا وأحذيتنا دون مُساعدٍ ؟

حدّثني رجل وقع له حادث سير شنيع بقي حبيس سرير المستشفى ستة أشهر بلا جراك ، فقال : بعد ستة أشهر استطعت أن ألبس حذائي دون مساعدة من أحد وبشرت أول زائر بأنني تمكنت من لبس حذائي بنفسني !

فقلت : يا رب عفوك
أليست هذه وهدها نعمة تستوجب الشكر ؟
يا رب عفوك لا تأخذ بزلتنا = واغفر أيا رب ذنباً قد جنيناه
ونحن في اليوم والليلة نلبس أحذيتنا دون الحاجة إلى مُعين ونحن نرتدي ثيابنا دون مُساعدة من أحد

لمن المنة في ذلك كلّه ؟
للمنعم المتفضّل . ومع هذا يُبارز بالعصيان ، ويُقابل بالجحود

إن كثرة المساس تُذهب الإحساس ، كما يُقال
فالشمس تطلع في صبيحة كل يوم ، وتغرب مساء كل يوم فما الجديد في ذلك ؟! لا جديد !
ولكن هذا القلْك الدائر ، وهذا الكون العامر بسير وفق نظام رباني بديع دقيق ولكن مع تعاقب الليل والنهار لا تتحرّك مشاعر الإنسان ولا يتفكر في قدرة الواحد الديّان ولكن في يوم من الأيام سوف يختلف هذا النظام بما يبهّر الأنام

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من لبس ثوباً لم يلبس فيه عيباً حتى يرى مقادير عيوبه في الآخرة) .
(رواه البخاري)

وقال رسول الله ﷺ : (من لبس ثوباً لم يلبس فيه عيباً حتى يرى مقادير عيوبه في الآخرة) .
(متفق عليه)

وقال ﷺ : (من لبس ثوباً لم يلبس فيه عيباً حتى يرى مقادير عيوبه في الآخرة) .
(رواه مسلم)

هكذا عندما يتغيّر ما اعتاده الناس وعندما يختلف هذا النظام الذي أليفه . وما أليفه نفوسنا وتعودت عليه لا يُحرّك فيها ساكننا ، ولا يُغيّر فيها شيئاً .

ولقد كان سلف هذه الأمة يتذكّرون الآخرة وهول المطلع في كثير من المواقف في حياتهم . فإن مرّوا بنار تذكروا نار الآخرة . وأن جلسوا في ظلمة تذكروا ظلمة القبر . وهكذا تتحرّك قلوبهم مع المشاهد اليومية التي قد تكون لدينا مشاهد مألوفة .